جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالديدامون – شرقية

من بلاغة الرسول ﷺ في حديثه عن الوسطية والاعتدال في المأكل والمشرب والملبس

إعداد

دكتور: أيمن عثمان على عيسى

مدرس البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية و العربية
للبنين _ بالديدامون _ شرقية

المؤتمر العلمي الدولي الأول

١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م

من بلاغة الرسول ﷺ في حديثه عن الوسطية والاعتدال في المأكل والمشرب والملبس

أيمن عثمان علي عيسى –
قسم البلاغة والنقد – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالديدامون شرقية–
جامعة الأزهر–مدينة فاقوس –جمهورية مصر العربية.

ملخص البحث :

الوسطية والاعتدال منهج قويم دعا إليه الإسلام، وأرشدنا إليه سيد الأنام محمد ﷺ في رسالته الوسطية السمحة الغراء التي لا تعرف الغلو ولا التطرف، ولا الإفراط ولا التفريط ، ولا التبذير ولا التقتير؛ وإنما هو القصد والاعتدال والاستواء، ومن الوسطية والاعتدال في الإسلام، الوسطية في المأكل والمشرب والملبس التي ينبغي للعبد أن يسير عليها في حياته؛ كي ينجو ويسعد في دنياه وأخراه، وحدد رسول الإسلام محمدﷺ نطاق هذه الوسطية في أحاديث كثيرة ، تناولت بعضًا منها بالشرح والتحليل البلاغي؛ بحثًا عن بلاغة الرسولﷺ في حديثه عنها. هذا وقد اقتضت طبيعة البحث لمعالجة هذا الموضوع أن يكون في مبحثين، يسبقهما مقدمة وتمهيد، وتقفوهما خاتمة وفهارس فنية، حيث أشرت في المقدمة إلى أهمية هذا الموضوع في محيط البلاغة النبوية، وسبب اختياري له، وخطته، والمنهج الذي سرت عليه، ثم عرضت في التمهيد لمفهوم الدلالة اللغوية للوسطية والاعتدال عند اللغويين، ثم تحدثت في المبحث الأول: عن بلاغة الرسولﷺ في حديثه عن المأكل والمشرب، وتحدثت في المبحث الثاني: عن بلاغة الرسولﷺ في حديثه عن الملبس، ثم ذيلت البحث بخاتمة اشتملت على أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، كما ألحقت بالبحث فهارس فنية جمعت ما اشتمل عليه البحث ؛ كاشفة ومرشدة لما تضمنته الدراسة في هذا البحث .

وختامًا : أسأل المولى ﷻ أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجه الكريم، متقبلا عنده –اللهم آمين– وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين .

الكلمات المفتاحية : بلاغة–الوسطية– الاعتدال–المأكل والمشرب–الملبس .

From the eloquence of the Messenger ﷺ in his talk about moderation and moderation in food، drink and clothing

Ayman Othman Ali Issa
Department of Rhetoric and Criticism - College of Islamic and Arabic Studies for Boys in Eastern Didamon
Al-Azhar University - Faqous City - Arab Republic of Egypt.

Research Summary:

Moderation and moderation is a straight approach called for by Islam، and the master of humankind، Muhammad ،ﷺ guided us in his message of moderation، tolerant and glorious، that does not know extremism or extremism، nor excessive or negligence، nor waste nor frugality. Rather، it is the intent، moderation، and equalization، and from moderation and moderation in Islam is moderation in food، drink and clothing that a servant should follow in his life; In order to survive and be happy in this world and the hereafter، the Messenger of Islam، Muhammad ،ﷺ defined the scope of this moderation in many hadiths، some of which I dealt with with explanation and rhetorical analysis; In search of the eloquence of the Prophet ﷺ in his speech about it. The nature of the research to address this topic necessitated that it be in two sections، preceded by an introduction and a preface، and followed by a conclusion and technical indexes. For the concept of linguistic significance of moderation and moderation among linguists، then I spoke in the first topic: about the eloquence of the Messenger ﷺ in his talk about food and drink، and in the second topic: about the eloquence of the Messenger ﷺ in his talk about clothing، then the research was appended with a conclusion that included the most important findings of the During the research، technical indexes were attached to the research that collected what was included in the research; Revealing and guiding the contents of the study in this research.

And in conclusion: I ask the Lord to make this work purely for the sake of the Noble Face، accepting with Him - God Amen - and our last prayer is that praise be to God، Lord of the worlds، and may God's peace and blessings be upon the Seal of the Prophets and Messengers and upon all his family and companions.

Keywords: eloquence، moderation، moderation، food and drink، clothing.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحمد لله الذي شرَّف أُمَّةَ الإسلامِ وجعلها أمةً وسطًا، فقال -جلت حكمته-: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا... ﴿١٤٣﴾﴾[1]، وأصلِّي وأسلمُ على خير من علَّمَ البشريَّةَ مبادئَ وتعاليمَ الوسطيةَ، سيدنا محمدﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فالوسطية والاعتدال هي المنهج القويم، والطريق السوي المستقيم الذي دعت إليه الشريعة السمحة الغراء التي لا تعرف الغلو ولا التطرف، ولا الإفراط ولا التفريط، ولا التبذير ولا التقتير؛ إنما هو القصد والاعتدال والاستواء، وإن من أبرز خصائص الأمة المحمدية، الوسطية والاعتدال، قال -تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا... ﴿١٤٣﴾﴾[2]، ويكفي هذا التشريف من المولىﷻ لأمة الإسلام ورسولها ﷺ، وللوسطية والاعتدال في الإسلام صور وأشكال عديدة منها، الوسطية في المأكل والمشرب والملبس، التي ينبغي للعبد أن يسير عليها في حياته؛ كي ينجو ويسعد في دنياه وأخراه، قال -تعالى-:﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾[3] ولما كان المأكل والمشرب والملبس

---

(١) سورة البقرة آية رقم: ١٤٣.

(٢) سورة البقرة آية رقم: ١٤٣.

(٣) سورة الأعراف آية رقم: ٣١.

منهج حياة متكررا على طول اليوم والليلة في حياة الفرد والمجتمع؛ لذا أرد الرسول ﷺ أن يُرسي مبادئ الوسطية والاعتدال في هذا المنهج، ويرسخ هذا الخُلُق العظيم في عقيدة كل مسلم، فكان للبلاغة النبوية أثرها البالغ والنصيب الأوفر في ترسيخ هذا المبدأ الوسطي المعتدل في حديثه ﷺ عن المأكل والمشرب والملبس، وحدد ﷺ نطاق هذه الوسطية في أحاديث كثيرة من هديه ﷺ؛ تناولت بعضًا منها بالدارسة؛ بحثًا عما تحتوي عليه من كنوز ودرر بلاغية كامنة في حديثه ﷺ عنها، فجاء بحثي تحت عنوان :

(من بلاغة الرسول ﷺ في حديثه عن الوسطية والاعتدال في المأكل والمشرب والملبس)

وكان من دوافع اختياري لهذا الموضوع -بجانب ما سبق -عدة أمور أهمها :

أولًا: ما لهذا الموضوع من أهمية بالغة في حياة الفرد والمجتمع .

ثانيًا: الرغبة في الوقوف على مواطن الوسطية والاعتدال في المأكل والمشرب والملبس في حديثه ﷺ .

ثالثًا: محاولة الوقوف على دقائق وأسرار بلاغة الرسولﷺ في حديثه عن الوسطية والاعتدال في المأكل والمشرب والملبس.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن ينتظم في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وفهارس فنية.

في المقدمة: عرضت لأهمية الموضوع، وسبب اختياري له، وخطته، والمنهج الذي سرت عليه.

وفي التمهيد: عرضت لمفهوم الدلالة اللغوية للوسطية والاعتدال عند اللغويين.

وفي المبحث الأول : تحدثت عن بلاغة الرسولﷺ في حديثه عن الوسطية والاعتدال في المأكل والمشرب.

وفي المبحث الثاني: تحدثت عن بلاغة الرسولﷺ في حديثه عن الوسطية والاعتدال في الملبس.

منهج البحث :

هذا وقد اعتمد منهج البحث على المنهج التحليلي البلاغي، وما يتصل به من مناهج أخرى مما تقتضيه طبيعة التحليل البلاغي؛ للكشف عن لطائف الوسطية والاعتدال في حديثه ﷺ ، من خلال تتبع أحاديث الرسول ﷺ عن الوسطية والاعتدال في المأكل والمشرب والملبس، ودراستها من خلال

النظر إلى التركيب بأكمله، وإلى جميع عناصره وأجزائه المتعلقة به والمعضدة له؛ بغية الوصول إلى بلاغته في ضوء السنة النبوية المطهرة .

ثم الفهارس الفنية.

- فهرس للمصادر والمراجع.

- فهرس للموضوعات.

وبعد...، فإن كان هذا البحث حقق ما هو له، فذلك فضل الله ﷻ يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وإن تكن الأخرى فحسبي أنني اجتهدت وأخلصت، وأرجو من الله ﷻ المغفرة على سوء الفهم، وفساد الرأي. ﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[1] والله من وراء القصد، هو حسبي ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

د/ أيمن عثمان على عيسى

مدرس بقسم البلاغة والنقد بالكلية ،،

(١) سورة البقرة آية رقم : ٢٨٦ .

تمهيد

ويتضمن: المفهوم اللغوي للوسطية والاعتدال .

الوسطية والاعتدال منهج قويم دعا إليه الإسلام، وأرشدنا إليه سيد الأنام محمد ﷺ في رسالته الوسطية السمحة الغراء التي لا تعرف الغلو ولا التطرف، ومن الوسطية والاعتدال في الإسلام، الوسطية في المأكل والمشرب والملبس التي ينبغي للعبد أن يسير عليها في حياته؛ كي ينجو ويسعد في دنياه وأخراه، وقبل أن أخوض غمار البحث عن بلاغة الرسول ﷺ في حديثه عن الوسطية والاعتدال في المأكل والمشرب والملبس-موضوع البحث- أشير في إيجاز إلى الدلالة اللغوية لمعنى الوسطية والاعتدال؛ حتى تكون خطوة في الكشف التام عن معناها البلاغي في حديثه ﷺ عنها .

(أ) **المراد بالوسطية في اللغة :**

ذكر صاحب -تاج اللغة وصحاح العربية- :" الوسط من الشيء أعدله قال-تعالى-: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ..﴾.(١) أي : عدلًا، ويقال : شيء وسط أي : الجيد، والرديء، وواسطة القلادة : الجوهر الذي في وسطها وهو أجودها ".(٢)

وذكر صاحب - مقاييس اللغة- : " الواو والسين والطاء، بناء صحيح يدل على العدْل والنِّصف، وأعدل الشيء أوسطه قال-تعالى-: ﴿أُمَّةً وَسَطًا ..﴾.(٣) ، وهو أوسطهم حسبًا إذا كان في واسطة قومه وأرفعهم محلًا ".(٤)

ومن واقع ما ذكره كل من الجوهري وابن فارس : أُدرك أن الدلالة اللغوية للوسطية تأتي

---

(١) سورة البقرة آية رقم : ١٤٣.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تأليف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ٣/ ١١٦٧ ط: دار العلم للملايين - بيروت ط: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

(٣) سورة البقرة آية رقم : ١٤٣.

(٤) معجم مقاييس اللغة، تأليف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،٦/ ١٠٨ ط: دار الفكر ط: ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

بمعنى الاعتدال، والحسن، والجيد، والأجود، والأفضل في كل الأمور.

(ب) **المراد بالاعتدال في اللغة :**

قال الخليل-رحمه الله-: " العدْلُ : هو المرضي من الناس قوله، والعدولة والعدل: الحُكْمُ بالحق، قال زهير [من الطويل] :

مَتى يَشتَجِرْ قومٌ تقُلْ سرَواتُهُمْ *** هُمُ بَيْنَنا فهُمْ رِضًى وَهُمُ عدْلُ .[1].[2]

وتقول: هو حكم عدل أي : ذو معدلة في حكمه ..، وتقول عدل أحدهما بالآخر في الاستواء ؛ كي لا يرجح أحدهما بصاحبه، والعدل نقيض الجور..، وعدلت الشيء أقمته حتى اعتدل ..، والمعتدلة من النوق: الحسنة المتفقة الأعضاء بعضها ببعض، وغصن معتدل مستو، وجارية حسنة الاعتدال، أي : حسنة القامة " .[3]

وعند الأزهري قال:" أخبرني المنذري عن ثعلب عن ابن الأعرابي العدل بمعنى الاستقامة ".[4]

وأورد ابن منظور: "العدل بمعنى القصد..، والقصد في القول والفعل هو الوسط بين طرفين ".[5]

ومن واقع ما سبق: يتضح لنا جليًا أن الدلالة اللغوية لمعنى الاعتدال ترجع إلى عدة معانى كلها في الأعم الأغلب ترجع إلى معنى واحد وهو : الاستقامة، والقصد، والاستواء، والحسن، والتوسط

---

(١) الاشتجار: هو الاختلاف كما تشتجر الأصابع إذا دخل بعضها في بعض، وتشاجر القوم إذا تشابكوا برماحهم، والسراة : هم سادة القوم وأشرافهم جمع سرى. ينظر: لسان العرب. تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري.٤/ ٣٩٤، ١٤/ ٣٧٧. دار صادر – بيروت . ط : الأولى.

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق : حمدو طمّاس، ص : ٤٩. ط : دار المعرفة بيروت-لبنان . ط : الثانية ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .

(٣) كتاب العين كتاب العين، تأليف : أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي تحقيق : د.مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي. ٢/ ٣٨، ٣٩، ٤٠. مادة : عدل، ط: دار ومكتبة الهلال.

(٤) تهذيب اللغة . تأليف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور ،تحقيق: محمد عوض مرعب، ٢/ ١٣٢ .ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠١م

(٥) لسان العرب مادة " قصد" ٣/ ٣٥٣.

بين شيئين، والحكم بين الناس بالحق وعدم الجور.

وعليه أجد: أن الوسطية والاعتدال في الدلالة اللغوية لهما، وجهان لعملة واحدة ، فهما مترادفتان من حيث المعنى اللغوي، إذ إنهما كما أشرت –آنفًا– عند اللغوين بمعنى : الاستقامة، والقصد، والاستواء، والحسن، والتوسط بين شيئين ، والحكم بين الناس بالحق وعدم الجور، والأفضل والأجود. وكلها أمور مرادة في معنى الوسطية والاعتدال.

ولو أردنا فهمًا أعمقَ لمفهوم الوسطية والاعتدال، لوجدناه في بيت أبي فراس الحمداني، وهو يفتخر بنفسه، حين بلغه أن الروم قالت: ما أسرنا أحدًا لم نسلب سلاحه غير أبي فراس، فأنشد قائلا: [من الطويل].

وَنَحْنُ أُنَاسٌ، لا تَوَسُّطَ عِنْدَنَا *** لَنَا الصّدرُ ، دُونَ العالَمِينَ ، أو القَبرُ.(١)

حيث أفرط وغلا في افتخاره ومدحه لنفسه، وجعل نفسه في مكانتين لا توسط بينهما ولا اعتدال، فهو إما أن يرى نفسه فوق رؤوس الجميع وفي مقدمة الصفوف، وإما أن يدفن في قبر فلا يرى أحدا سواه؛ خشية أن تلحقه الهزيمة ويصيبه الخزي و العار، وهذا افتخار لا توسط فيه ولا اعتدال، وهو شأن كل متطرفٍ مغالٍ ومسرفٍ على نفسه .

لذا كانت البلاغة العربية في حاجة ماسة إلى دراسة البلاغة النبوية وما تحتوي عليه من كنوز ودرر؛ لا سيما في هذا الخُلُق العظيم–الوسطية والاعتدال–في المأكل والمشرب والملبس، الذي أرسى مبادئه وتعاليمه معلِّم البشرية جمعاء –الذي لا ينطق عن الهوى– محمد ﷺ الذي أعجز البلغاء ببلاغته وفصاحته، فلم يسمعوا:" بكلام قط أعمَّ نفعًا، ولا أقصدَ لفظًا، ولا أعدلَ وزنًا، ولا أجملَ مذهبًا، ولا أكرمَ مطلبًا، ولا أحسنَ موقعًا، ولا أسهلَ مخرجًا، ولا أفصحَ معنىً، ولا أبينَ في فحوىً، من كلامِهِ صلّى الله عليه وسلّم كثيرا " .(٢)

---

(١) ديوان أبي فراس الحمداني. شرح الدكتور / خليل الدويهي. ص : ١٦٥.ط: دار الكتاب العربي. ط: الثانية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

(٢) البيان والتبيين، تأليف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ ٢/ ١٤ط: دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط: ١٤٢٣ هـ.

المبحث الأول

بلاغة الرسول ﷺ في حديثه عن الوسطية والاعتدال في المأكل والمشرب .

الوسطية والاعتدال هي المنهج القويم، والطريق السوي المستقيم الذي دعت إليه الشريعة الغراء، فالإسلام -كما نعلم- دين الوسطية السمحة، أرشدنا إلى الاعتدال والقصد في جميع أمور حياتنا، ومنها الاعتدال في المأكل والمشرب، قال-تعالى-: ﴿..وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾.(١)، وحدد رسول الإسلام محمدﷺ نطاق هذه الوسطية في أحاديث كثيرة منها :

الحديث الأول:

حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ نَصْرٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ الْحِمْصِيُّ، وَحَبِيبُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ الطَّائِيِّ، عَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ" .(٢)

مما أرشدنا إليه النبي ﷺ إلى الوسطية والقصد والاعتدال في المأكل والمشرب، ما جاء في هذا الهدي النبوي الشريف؛ حيث بيَّن ﷺ المنهج السوي المستقيم لما ينبغي للعبد أن يتمسك به في مأكله ومشربه، وعدم الإسراف من شهوة البطن؛ ليحصل له ما تكون به صحته وعافيته في بدنه من الخفة والنشاط والسلامة، وعدم تعرضه للأمراض والأسقام التي تنتج عن إسرافه وإفراطه من شهوة البطن في مأكله ومشربه.

والمتأمل الهدي النبوي الشريف في قوله ﷺ :(مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ) يلحظ أن النبي ﷺ

---

(١) سورة الأعراف آية رقم : ٣١.

(٢) حديث رقم (٢٣٨٠) -باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل-، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تأليف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون،٤/ ٥٩٠، ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت.

أطلق النصح والإرشاد إلى القصد والاعتدال في المأكل والمشرب، وجعله عامًا لبني البشر؛ وذلك من خلال هذا التحذير الشديد المنبئ به النفي العام في قوله : (ما ملأ آدمي..) نسبة إلى آدم عليه السلام، والمراد: أي إنسان ؛ على سبيل العموم ؛ حيث أورد ﷺ (ما) النافية الداخلة على الفعل الماضي (ملأ) لتشمل كل شيء تمتلئ به بطن العبد من مختلف أنواع الطعام والشراب، والتنكير لكلمة (آدمي) ليتناول كل إنسان مسرف على نفسه ، ولم يقتصد ويعتدل في مأكله ومشربه، فكان للنفي بـ(ما) ودخولها على الفعل الماضي، والتنكير في سياق النفي دلالته البالغة في الدعوة عامة إلى الاعتدال والقصد والاستواء ، من خلال توجيه هذه النصيحة الغالية؛ كما كان للبدأ : "بالنفي في أول الحديث عمل على تنبيه المخاطب ولفت لنظره إلى ما يلقي عليه من كلام بعده ، إذ إن من شأن النفي أن يثير في نفس السامع أسئلة فتجعله شغوفًا لمعرفة الإجابة عليها ".[1]

وهذا ما نبهنا إليه-أيضًا- وحذرنا منه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله: " إيَّاكم والبِطْنة في الطعام والشراب! فإنها مفسدة للجسد، مورثة للسقم، مكسلة عن الصلاة؛ وعليكم بالقصد فيها! فإنه أصلح للجسد، وأبعد من السرف،... " .[2]

ومن ينعم النظر: يلمح أن في النفي بـ(ما..) تنفير من الإسراف وعدم الاعتدال في المأكل والمشرب، وهذا ما نلحظه من خلال تشبيه البطن بالوعاء، فليس هنالك وعاء شر من البطن عندما تمتلئ بما لذَّ وطاب من أنواع الطعام والشراب، وهو ما أكد عليه الرسول ﷺ من خلاء التشبيه الضمني[3] في قوله :(مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ) فشرَّ وعاء هو امتلاء البطن حين يسرف العبد

---

(١) بلاغة النفي في البيان النبوي، د/ لطفي خالد محمود الجوهري-رسالة دكتوراه-ص:٥٦، ط:١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م .

(٢) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تأليف: علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي ،تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا.١٥/ ٤٣٣.ط: مؤسسة الرسالة ط: الطبعة الخامسة، ط: ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م

(٣) التشبيه الضمني: هو التشبيه الذي يذكر فيه الطرفان على وجه لا ينبئ عن التشبيه، وإنما التشبيه مكنون في

علي نفسه، ولم يقتصد في امتلاء معدته بما لذَّ وطاب من مأكل ومشرب وغيره ؛ حيث شبه ﷺ " البطن بالأوعية التي تتخذ ظروفًا لحوائج البيت؛ توهينا لشأنه، ثم جعله شر الأوعية؛ لأنها استعملت فيما هي له، والبطن خلق لأن يتقوم به الصلب بالطعام، وامتلاؤه يفضي إلى الفساد في الدين والدنيا، فيكون شرا منها". [1] ، فليس هناك وعاء شر من البطن عند امتلائها كما بينها وأكد عليها التشبيه الضمني في حديثه ﷺ حيث شبه النبيﷺ معدة المسرف على نفسه بامتلائها من المأكل والمشرب ، بالوعاء الذي يتخذ ظرفًا لحفظ الأشياء في البيت، وأتى بذلك ضمنًا عن طريق أفعل التفضل (شرًا)، وهى إحدى الأساليب التي يأتي في طيها التشبيه الضمني.[2]

ويبيِّن ابن علان وجه تحقق ثبوت الوصف من أفعل التفضيل (شر) بالذم على صاحبه، ولما كان امتلاء البطن شر وعاء ؟!؛ وذلك في قوله : " فإن قلت: شرّاً أفعل تفضيل، وهو ما اشتق من فعل الموصوف بزيادة على غيره، فما وجه تحقق ثبوت الوصف في المفضل عليه؟ قلت: ملء الأوعية لا يخلو من طمع أو حرص على الدنيا، وكلاهما شرّ على الفاعل" .[3] وفي هذا كله تنفير وتوهين لشأن

الضمير لا يظهر إلا بعد تأمل .أو : هو مالا يكون التعبير فيه نصًا في التشبيه، وإنما بُنيت العبارة عليه، وطوته وراء صياغتها ، فأنت تراه هناك مضمرًا مكتومًا. ينظر : حاشية الشيخ محمد الإنبابي على رسالة الشيخ محمد الصبان في علم البيان ،ص :٣٧. ط. المطبعة الأميرية ببولاق، ط: الأولى، ط: ١٣١٥هـ.، وينظر: التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان. تأليف د: محمد محمد أبو موسى، ص :٩٠، ط. مكتبة وهبة ط. الرابعة . ط. ١٤١٨هـ/ ٢٠٠٤م

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي،١٠/ ٣٢٩٣، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض) ط: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

(٢) ينظر: طرائق التشبيه الضمني في الشعر العربي "دراسة فنية"، تأليف د/ لطفي خالد محمود الجوهري. ص :٢٧.ط: مكتبة الآداب . ط: الأولى، ط:١٤٣٩ه/ ٢٠١٨م.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، تأليف: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا.٤/ ٤٧١.ط: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ط: الرابعة، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م

كل من أسرف على نفسه ولم يقتصد، كما أن فيه دعوةً إلى الاعتدال والاستواء في المأكل والمشرب .

وبعد هذا التحذير الشديد والتنفير من امتلاء البطون؛ يوجه النبي ﷺ مرشدًا وناصحًا ومعلمًا إلى ما ينبغي أن يكون عليه العبد في مطعمه ومشربه من القصد والاعتدال في قوله :(بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ) فقوله ﷺ: (بحسب) الباب –هنا– مزيدة للتوكيد [1] للتأكيد على أن الاعتدال وعدم الإسراف في المطعم والمشرب أمر فيه نفع كثر لحياة الإنسان في دنياه وأخراه، والمعنى: يكفي ابن آدم عددٌ من الأكلات التي تحصل بها حياته، أي : القليل من الأُكلات التي تسد جوعته ويقيم بها صلبه، وهو ما نلحظه من جمع المؤنث السالم(أُكُلَاتٌ) الذي يدل في الغالب يدل على التقليل. [2]

وهذا ما قرره وأكده–أيضًا– المجاز العقلي في قوله ﷺ:(أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ) أي: ظهره، ففي إسناد (الإقامة) إلى (الأكلات) مجاز عقلي علاقته السببية، فيكفي القليل من الأكلات من الطعام والشراب؛ ليتقوى بها العبد ولتكون سببًا في إقامة صلبه، فهي الغرض الرئيس من الطعام والشراب لا شيء غيره، وفي هذا حثٌّ على التقليل من الأكل وعدم التوسُّع فيه؛ ليحصلَ للإنسان الخفَّة والنشاط والسلامة من التعرُّض للأمراض والأسقام التي تنتج عن كثرة الأكل وعدم الاعتدال فيه.[3]

كما نلحظ أن في لفظ (صُلْبَهُ) أي : ظهره، مجازًا مرسلًا علاقة الجزئية ؛ حيث عبَّر بالصلب وهو

---

(١) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، تأليف: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي تحقيق: د فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل،ص: ٥٣، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م

(٢) ينظر: فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله، تأليف: عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر.١٤٨.ط: دار ابن القيم، الدمام المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، وينظر: النحو الوافي، تأليف: عباس حسن . ص:٣٧.الناشر: دار المعارف، ط: الطبعة الخامسة عشرة

(٣) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح،٨/ ٣٢٥١.، وينظر: فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب –رحمهما الله–ص :١٤٨.

الظهر، وأراد الكل أي : الجسد بأكمله، وهو مجاز بُنِيت عليه كناية عن أنه لا يتجاوز ما يحفظه من السقوط ، ويتقوىٰ به علىٰ الطاعة.[1]

ثم يأتي النبي ﷺ من شدة حرصه علىٰ أمته وإخلاصه النصح والإرشاد لهم، ويُبَيِّن لهم الطريقة الرشيدة السوية لمن تتغلب عليه شهوته في المطعم والمشرب، من خلال حسن التقسيم[2] البديع في قوله : ﷺ(فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ) أىٰ : فإن كان لا بدَّ من الزيادة وعنده رغبة الكثرة في المأكل والمشرب، فعليه أن يقسم المعدة ثلاثة أثلاث، ثلث للطعام، وثلث للشراب، وثلث للنفس، فنجد أن النبي ﷺ بيّن من خلال هذا التقسيم البديع إلىٰ ما تكون به صحة الإنسان وعافيته ؛ وذلك بالاعتدال وعدم الإسراف في المأكل والمشرب، بأن يقسم الإنسان بطنه ثلاثة أقسام لا رابع لها ، فاستوفي النبي ﷺ ما تكون به صحة الإنسان وعافيته في هذه الأقسام الثلاثة، وأضاف إلىٰ كل قسم ما له علىٰ التعيين .

---

(١) ينظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، تأليف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورىٰ ٧/ ٤٤. ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) التقسيم: "أن يذكر أحوال الشيء مضافا إلىٰ كل حال ما يليق بها"،أو"هو استيفاء أقسام الشيء بالذكر". الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تأليف الخطيب القزوينىٰ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين،٢/ ٢٧٢،ط. دار الكتب العلمية بيروت–لبنان . ط. الأولىٰ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

الحـــديث الثاني :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ، لاَ يَأْكُلُ حَتَّىٰ يُؤْتَىٰ بِمِسْكِينٍ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَأَدْخَلْتُ رَجُلًا يَأْكُلُ مَعَهُ فَأَكَلَ كَثِيرًا، فَقَالَ: يَا نَافِعُ، لاَ تُدْخِلْ هَذَا عَلَيَّ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: " الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًىٰ وَاحِدٍ، وَالكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ".(١)

يقدم النبي ﷺ نصيحته الغالية لأمته ويدعوهم إلىٰ الاعتدال والقصد في المأكل والمشرب، وألا يسرفوا علىٰ أنفسهم بامتلاء بطونهم؛ فتفسد عليهم دينهم ونياهم، فيكفي المؤمن من دنياه القليل من الطعام والشراب لما يسد رمقه، ويقم بها صلبه؛ ليتقوىٰ به علىٰ طاعة ربه، وهو علىٰ العكس لما يكون عليه الكافر في دنياه من نهم وشره في مطعمه ومشربه.

والمتأمل هذا الهدي النبوي الشريف في قوله ﷺ: (الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًىٰ وَاحِدٍ، وَالكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ) يلحظ أنه ﷺ قدَّم المسند إليه (المؤمن..) ، (الكافر..) علىٰ خبره الفعلي في كل من :(يَأْكُلُ فِي مِعًىٰ وَاحِدٍ)،(يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ) للدلالة علىٰ التأكيد أن من صفات المؤمن القناعة والقلة والاقتصاد والاعتدال في مطعمه ومشربه، فيكفيه من دنياه من طعامه وشرابه، ما يسد رمقه ويقيم به صلبه ويتقوىٰ به علىٰ طاعة ربه، كما للتقديم دلالة –أيضًا–في إبراز صفات الكافر المسرف علىٰ نفسه في مطعمه ومشربه، لا هَمَّ له في الدنيا غير النهم الشره وإشباع شهوته بامتلاء بطنه بما لذَّ وطاب من أنواع الطعام والشراب، مثله كمثل الأنعام مصداقا لقوله ﷻ :﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾.(٢)

---

(١) حديث رقم (٥٣٩٣) –باب الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًىٰ وَاحِدٍ– صحيح البخاري ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول اللهﷺ وسننه وأيامه، تأليف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر،٧/ ٧١.ط : دار طوق النجاة.

(٢) سورة محمد آية رقم : ١٢.

فتقديم المسند إليه على خبره الفعلي -هنا- كانت له دلالة الواضحة **من خلال التأكيد والتحقق** وإبراز صفات كل من المؤمن والكافر لما يكون عليه في دنياه تجاه مطعمه ومشربه، وهذا ما قرره شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني في حديثه عن التقديم والتأخير في الخبر المثبت في قوله: " واعلم أن الذي بان لك في "الاستفهام" و "النفي" منَ المعنى في التقديمِ، قائمٌ مثْلُه في "الخَبَرِ المُثْبَت"، فإذا عمدْتَ إلى الذي أردتَ أن تحدث عنه فعل، فقدَّمْتَ ذِكرَه، ثُمَّ بنيتَ الفعلَ عليه فقلتَ: "زيد قد فعل" و "أنا فعلت"، و "أنت فعلْتَ"، اقتضى ذلك أن يكونَ القصدُ إلى الفاعلِ، إلاَّ أنَّ المعنى في هذا القصدِ ينقسم قسمين: أَحدُهما جليٌّ لا يُشْكِلُ: وهو أن يكون الفعلُ فِعْلاً قد أردتَ أن تَنُصَّ فيه على واحدٍ فتجعلَه له، وتزعمُ أنه فاعلُه دونَ واحدٍ آخرَ، أو دونَ كلِّ أحدٍ...، والقسمُ الثاني: أن لا يكونَ القصْدُ إلى الفاعلِ على هذا المعنى، ولكنَّ على أنك أردتَ أن تُحقِّق على السامع أَنه قد فعل، وتمنعه من الشك، فأنت لذلك تبدأ بذِكْره، وتَوَقُّعِه أوّلًا ".(١)

واللام في -أل- في كل من (المؤمن)، (والكافر) عهدية وليست للجنس، فالمقصود رجل بعينه وهو ما جزم به الإمام ابن عبد البر القرطبي(٢) في قوله : " والإشارة فيه إلى كافر بعينه لا إلى جنس الكافر، ولا سبيل إلى حمله على العموم؛ لأن المشاهدة تدفعه وتكذبه وقد جل ﷻ عن ذلك، ألا ترى أنه قد يوجد كافر

---

(١) دلائل الإعجاز في علم المعاني، تأليف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر،ص:١٢٨، ١٢٩، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

(٢) ابن عبد البر الحافظ الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ولد ثمان وستين وثلاثمائة في ربيع الآخر، له من التصانيف: التمهيد شرح الموطأ والاستذكار مختصره والاستيعاب في الصحابة وفضل العلم والتقصي على الموطأ وقبائل الرواة والشواهد في إثبات خبر الواحد والكنى والمغازي والأنساب وغير ذلك، مات ليلة الجمعة في ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وأربعمائة عن خمس وتسعين سنة،-رحمه الله- طبقات الحفاظ، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ص:٤٣١، ٤٣٢.ط: دار الكتب العلمية - بيروت ط: الأولى، ١٤٠٣هـ

أقل أكلا من مؤمن ويسلم الكافر فلا ينتقص أكله ولا يزيد، وفي حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ ما يدل على أن هذا الحديث في رجل بعينه[1] " .[2]

وعليه: فنجد أن التعبير بلفظ (المؤمن)، (والكافر) هو من باب ذكر العام والمراد به الخاص وهو ما أشار إليه الإمام ابن عبد البر القرطبي بقوله:" فكأنه قال هذا إذ كان كافرا كان يأكل في سبعة أمعاء، فلما آمن عوفي وبورك له في نفسه فكفاه جزء من سبعة أجزاء مما كان يكفيه إذ كان كافرا خصوصا له -والله أعلم-، فكان قوله ﷺ في هذا الحديث الكافر يأكل في سبعة أمعاء؛ إشارة إليه كأنه قال هذا الكافر وكذلك المؤمن يأكل في معي واحد، يعني هذا المؤمن -والله أعلم- وقد قال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ وهو يريد رجلا فيما قال أهل العلم بتأويل القرآن وقيل رجلان ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾[3] يعني قريشا، فجاء بلفظ عموم ومعناه الخصوص".[4]

وإن كنت أجد: أن (أل) وإن كانت للعهد العلمي الخارجي لورود الحديث ومناسبته في رجل بعينه كما-أشرت-بيد أنه لا يمتنع أن تكون (أل) للعهد الذهني، وهي التي يشار بها للحقيقة ضمن فرد مبهم، وعليه يكون في المعنى كالنَّكرة، فتفيد العموم، فهي دعوة منه ﷺ إلى الاعتدال؛ تُبِينُ عن صفات كل من المؤمن والكافر في دنياه ، وهذا ما أكده وأشار إليه-صاحب تحفة الأحوزي-في

---

(١) عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ ضافه ضيف وهو كافر، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة فحلبت، فشرب حلابها، ثم أخرى فشربه، ثم أخرى فشربه، حتى شرب حلاب سبع شياه، ثم إنه أصبح فأسلم، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة، فشرب حلابها، ثم أمر بأخرى، فلم يستتمها، فقال رسول الله ﷺ:" المؤمن يشرب في معي واحد، والكافر يشرب في سبعة أمعاء. صحيح مسلم " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تأليف: محمد فؤاد عبد الباقي،٣/ ١٦٣٢، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تأليف : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوى و محمد عبد الكبير البكري ،١٨/ ٥٣، ط : مؤسسة القرطبه.

(٣) سورة آل عمران آية رقم : ١٧٣.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. ١٨/ ٥٣.

بيانه للاستعارة التمثيلية في قوله : " ليس المراد به ظاهره وإنما هو مثل ضرب للمؤمن وزهده في الدنيا، والكافر وحرصه عليها، فكان المؤمن لتقلله من الدنيا يأكل في معىً واحد، والكافر لشدة رغبته فيها واستكثاره منها، يأكل في سبعة أمعاء، فليس المراد حقيقة الأمعاء ولا خصوص الأكل، وإنما المراد التقلل من الدنيا والاستكثار منها، فكأنه عبر عن تناول الدنيا بالأكل وعن أسباب ذلك بالأمعاء ووجه العلاقة ظاهر".[1]

فقوله ﷺ : (الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ) من باب التمثيل على سبيل الاستعارة التمثيلية.[2]، وفيها من التأكيد والحث على أن منهج الوسطية والاعتدال، هي المنهج السوي المستقيم الذي ينبغي على العبد أن يسلكه في دنياه ويجعله منهج حياة؛ كي يهنأ ويسعد في دنياه وأخراه. كما أن فيها–أيضًا– تصويرًا وتجسيدًا للشيء المعنوي في صور المُحس الملموس.

ومن ينعم النظر في ﷺ: (الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ)، (وَالكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ) يلحظ أن بين الجملتين مقابلة؛ بين (المؤمن – والكافر)،(يأكل في معىً واحد– يأكل في سبعة أمعاء) وما فيهما من تضاد يقوي المعنى ويوكده ؛ لإحداث نوع من المقارنة والمفارقة بينها، والتي تُبين عن مدى شدة التنافي والتباعد بينها، فها هي صفات المؤمن لزهده في دنياه لا همَّ له غير مرضاة ربه ويكفيه القليل منها؛ كأنه يأكل في معي واحد ويكفيه ما يوضع له ويقنع ويشبع، على العكس ما يكون علي الكافر من تعلقه وحرصه الشديد عليها واشباع شهواته منها ورغبة الشديدة في الإكثار من الطعام

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي،٥/ ٤٤١.

(٢) شبه ﷺ حال وهيئة المؤمن في اقتصاده واستوائه واعتداله وزهده في دنياه بقلة طعامه وشرابه حيث يكفيه القليل لما يسد جوعته ويقوم صلبه ويتقوى به على طاعة ربه، بحال من يأكل في معي واحد ويشبع، بجامع القناعة في كلٍ، وهو على العكس من الكافر وحاله مع الدنيا، فلا مطمع له من دنياه إلا حرصه عليها بإشباع شهوات بطنه، ونهم وشره لمطعمه ومشربه، فشبه ﷺ حالته وهيئته، بحال وهيئة من يأكل في سبعة أمعاء ولم يقنع ويشبع، بجامع الجشع والطمع في كل، ثم استعير اللفظ المركب الدال على كل من المشبه والمشبه به على سبيل الاستعارة التمثيلية.

والشراب ، وتفننه في تناوله بنهم وشرهٍ ، فهو كمن يأكل في أمعاء كثيرة، ومع ذلك لم يقنع ولم يشبع ، وهو ما نوَّه إليه المناوي من أن :" المؤمن يأكل للضرورة والكافر يأكل للشهوة، أو المؤمن يقل حرصه وشرهه على الطعام ويبارك له في مأكله ومشربه فيشبع من قليل، والكافر شديد الحرص لا يطمح بصره إلا للمطاعم والمشارب كالأنعام فمثل ما بينهما من التفاوت ، كما بين من يأكل في وعاء، ومن يأكل في سبعة وهذا باعتبار الأعم الأغلب" .[1]

وكون المؤمن يأكل في معي واحد؛ كناية عن زهده وورعه وأنه يكفيه القليل من دنياه على ما يتقوى به على طاعة ربه، وكون الكافر يأكل في سبعة أمعاء؛ كناية عن شدة حرصه على الدنيا وتمسكه بها وطمعه وجشعه، مسرف على شهوات بطنه، غير مبال أمن الحرام يأكل ويشرب أم من الحلال؟!، ومع ذلك فلا بكثير يشبع ولا بقليل يقنع.

كما كان للتعبير بالمضارع (يأكل) مع كل من المؤمن والكافر (الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ)، (وَالكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ) دلالته في استحضار صورة وهيئة ما يكون عليه حال كل من المؤمن والكافر في دنياه .

فإن قلت فما وجه التخصيص معي واحد مع المؤمن، وسبعة أمعاء مع الكافر؟

والجواب-والله أعلم-: جاءت كلمة(واحد) بعد الكلمة المفردة(مَعِيٍّ[2]) ؛ مناسبة لمعنى الإفراد، ولتأكيد الخبر لدى المخاطب على أن المؤمن يكفيه القليل من طعامه وشرابه من دنياه ؛ ليسد به رمقه ويقيم به صلبه ويتقوى به على طاعة ربه.

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، تأليف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ، ٦/ ٣٢٦، ط: المكتبة التجارية الكبرى – ط: الأولى، ١٣٥٦ه.

(٢) والمِعَى: واحُد الأَمْعاء، وَهِيَ المَصارِين. النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، ٤ / ٣٤٤، ط: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م

كما جاءت كلمة(سبعة) مقدمة على المعدود(أمعاء) في حق الكافر؛ مناسبةً لمعني الجمع وللتكثير والمبالغة، وتأكيد الخبر لدي المخاطب من أول وهلة أن الكافر لا يكفيه القليل من دنياه، دأبه شدة الحرص عليها، المتمثل في طمعه وجشعه ونهمه وشرهه في مطعمه ومشربه، لا يبالي أمن الحلال يأكل أم من الحرام؟!.[1]

(١) ينظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير. ٦/ ٣٢٦.

الحـــديث الثـــالـث:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ الرَّازِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ القُرَشِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى البَكَّاءُ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: تَجَشَّأَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: " كُفَّ عَنَّا جُشَاءَكَ فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ القِيَامَةِ ": قال الترمذي :"هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ "، قال الشيخ الألباني: حسن.(١)

يرشدنا النبي ﷺ في هذا الهدي النبوي إلى الاعتدال والقصد في المأكل والمشرب، منفرًا من الشبع الزائد عن حد الاعتدال بكونه مذمومًا؛ نظرًا لما يعود على العبد بالخسران في الدنيا والآخرة ، فإن من كثر أكله كثر شربه، فكثر نومه فتلبد ذهبه، فقسا قلبه، فكسل جسمه، ومحقت بركة عمره، ففتر عن عبادة ربه فطرد يوم القيامة من رحمة ربه .(٢)

والمتأمل الهدي النبوي الشريف في قوله ﷺ: (كُفَّ عَنَّا جُشَاءَكَ..) يلحظ أن الرسول ﷺ يقدم النصح لكل مفرط على نفسه بالشبع الزائد المثقل على المعدة من خلال الأمر في هذا التركيب(كُفَّ عَنَّا..)، كما أن فيه تنفيرًا شديدًا لهذا الفعل المذموم وهو الجشاء(٣) المتسبب عن الشبع المفرط الزائد عن حد الاعتدال ؛ لما يترتب عليه من الخسران الدنيوي والأخروي كما -أشرت آنفًا-، كما أن في الأمر حثا على التقليل من الشبع الزائد، ودعوة إلى القصد والاعتدال في المأكل والمشرب.

ويؤكد الرسول ﷺ على أن هؤلاء المسرفين على أنفسهم بالشبع الزائد الغارقين في شهوات بطونهم

---

(١) الجامع الصحيح سنن الترمذي،٤/ ٦٤٩. (حديث صحيح) السلسلة الصحيحة، تأليف : محمد ناصر الدين الألباني،١/ ٦٧٢. ط : مكتبة المعارف – الرياض.

(٢) ينظر: فيض القدير،٢/ ٤٢٩.

(٣) الجشاء: صوت مع ريح يخرج من الفم عند حصول الشبع. التوقيف على مهمات التعاريف، تأليف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المنوي القاهري، ص:١٢٧، ط: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م

في دنياهم هم أطول الناس جوعًا يوم القيامة؛ لبعدهم عن منهج ربهم، فاستحقوا الطرد من رحمة ربهم يوم القيامة وحرمانهم من النعيم المقيم عند ربهم ، ذلك ما نلحظه في قولهﷺ :(فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ القِيَامَةِ).

كما يُلحظ أن بين الجملتين كمال اتصال:(فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ القِيَامَةِ)؛ حيث كانت الجملة الثانية :(أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ القِيَامَةِ) بيانًا للجملة للأولى.

ثم لنتأمل دلالة العطف بـ(الفاء) مع التوكيد بـ(إنَّ) في قوله: (فإِنَّ أَكْثَرَهُمْ...) للدلالة على أن النبىﷺ لم يتوان في إخلاص النصح والإرشاد لهذا المسرف على نفسه ولم يتركه لشهوة بطنه المهلكة؛ بل على الفور أسدى النصيحة مؤكدًا على التنفير والتحذير من هذا الفعل الشنيع - الشبع الزائد عن حد الاعتدال -بكونه مذمومًا؛ نظرًا لما يعود على العبد بالخسران في الدنيا والآخرة .

وقد يتسرب إلى الذهن سؤال: لِمَ عبَّر بـ(الأكثر) مع الشبع في الدنيا، ولم يعبر بـه مـع الجـوع يـوم القيامة؛ بل عبر بـ(الأطول) ؟!

والجواب والله -أعلم-: تلك هي فصاحته ﷺ - الذى لا ينطـق عـن الهـوى-، واختيـاره لدقـة الألفاظ، وما فيها من المناسبة التامة من خلال التعبير بـ(أكثر) مع الشبع في الدنيا في قوله: (فإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا)، فمن المعلوم أن الكثرة والقلة كما ذكر -صاحب الفـروق اللغويـة- :" الكثرة والقلة تستعملان في الكمية المنفصلة كالأعداد".[1] وذلكم هو حال المسرف على نفسه في وتعدده لمطعمه ومشربه في دنياه، فعبَر بالأكثر؛ اعتبارًا بمطاعم الدنيا وتعددها، وما فيه من تعدد لكميات المطعم والمشرب التي يتناولها المسرف على نفسه، لا هَمَّ لـه في الـدنيا غـير الـنهم الشرـه وإشباع شهوته بامتلاء بطنه بما لذَّ وطاب من الطعام والشراب، مثله كمثل الأنعام.

كما كان للتعبير دلالة ومناسبته التامة بـ(أطول) مع الجوع يوم القيامة في قوله :(أَطْوَلُهُمْ جُوعًـا يَوْمَ القِيَامَةِ). وفيه من المناسبة التامة لطول يوم القيامة وزمانه؛ إذ إنه -من المعلوم- : أن القصر- والطول من الأسماء المتضايفة المستعملة في الأعيان والأعراض كالزمان قال-تعالى- :﴿فَطَالَ

(١) المفردات في غريب القرآن، تأليف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ص:٧٠٣، ط: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط: الأولى . ١٤١٢ هـ

عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ﴾[1]، ويقال: طوال الدهر؛ وذلك لمدته الطويلة، فكان للتعبير بـ(أطولهم) دون (أكثرهم) مع يوم القيامة دلالته ومناسبته التامة لطول مدة زمانه، وتلك هي روعة التصوير البلاغي من الرسول ﷺ لما يكون عليه حال المسرف في دنياه وأخراه، فكان للتعبير كل في موضعه من الأكثر والأطول على أبلغ ما يكون منه ﷺ .[2]

ومن ينعم النظر في التركيب بأكمله، ووضع المضمر موضع المظهر في قوله ﷺ:(فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ القِيَامَةِ). يلحظ البلاغة العالية المنبثقة من أخلاقه ﷺ ، من خلال تقديمه النصح والإرشاد فقال ﷺ:(أكثرهم ، وأطولهم) أي : الناس،" وفي هذا التفات[3] من الخطاب إلى الغيبة ؛غاية اللطف وحسن الخلق في عدم مواجهة المخاطب بما يسوؤه..، فإن مفاسد الشبع عديدة كثيرة مفسدة للبدن وللدين، يناثر عنها كل كسل عن طاعة وكل حركة للشهوة، فيكون سبباً لطول الجوع في الآخرة ".[4]

كما يلحظ أن في التركيب : (أَكْثَرَهُمْ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا)، (أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ القِيَامَةِ). مقابلة بأكثر من معنى؛ لإحداث نوع من المقارنة والمفارقة، التي تُبين عن مدى شدة التنافي والتباعد؛ لما كان عليه المسرف في دنياه، وإلى ما سيؤول إليه في أخراه، فهي مصورة للمعني أبلغ تصوير؛ كي يرتدع كل من تسول له نفسه ويجري خلف شهواته، ولا يقتصد ويستوي ويعتدل في مطعمه ومشربه؛ بل يفرط على بطنه بالشبع الزائد المثقل على معدته، فيخسر الدنيا والآخرة، كما بينها المصطفي ﷺ.

****

---

(١) سورة آل عمران آية رقم : ١٦.

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن، ص: ٥٣٣.

(٣) التفات هو : التعبير عن معنى من المعاني بطريق من الثلاثة وهي التكلم والخطاب والغيبة بعد التعبير عنه بآخر منها" ينظر: مواهب الفتاح لشرح تلخيص المفتاح. لابن يعقوب المغربي (ضمن شروح التلخيص).١/ ٤٦٥. . ط. دار الكتب العلمية بيروت –لبنان.

(٤) التَّنويرُ شَرحُ الجَامِع الصَّغِيرِ، تأليف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير، تحقيق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، ص:٨/ ١٥٢. ط: مكتبة دار السلام، الرياض، ط: الأولى، ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١١ م ط: الأولى، ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١١ م .

المبحث الثاني

بلاغة الرسول ﷺ في حديثه عن الوسطية والاعتدال في الملبس.

الوسطية والاعتدال -كما أشرت من قبل- هي الطريق السوي المستقيم الذي دعت إليه الشريعة الغراء، وكما حثنا ديننا الحنيف على الوسطية والاعتدال في المأكل والمشرب، حثنا عليها -أيضًا- في الملبس، قال -تعالى-: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾[1]، وحدد الرسول ﷺ معالم هذه الوسطية في أحاديث كثيرة منها :

الحديث الأول

أخرج الإمام البخاري في صحيحه، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :﴿ كُلُوا، وَاشْرَبُوا، وَالْبَسُوا ، وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ ﴾.[2]

يرشدنا النبي ﷺ من خلال هذا الهدي النبوي الشريف إلى الاعتدال في المأكل والمشرب والملبس حتى الصدقة -نفسها- وكيفية إنفاقها في سبيل الله ﷻ، وما ينبغي أن يكون عليه العبد في دنياه؛ كي ينجو بنفسه من شهوات الدنيا وملذاتها المهلكة له إن أطلق لها العنان، ولم يقتصد ويستقم في مأكله ومشربه وملبسه.

والمتأمل لبلاغة الرسول ﷺ في حديثه عن الاعتدال في المأكل والمشرب والملبس والصدقة، في هذا الهدي النبوي الشريف، يجد أنها مستمدة من بلاغة القرآن الكريم من قوله -تعالى- : ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ

---

(١) سورة الأعراف آية رقم : ٣١.

(٢) صحيح البخاري ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، كتاب اللباس، باب قَوْلِ اللَّهِ -تَعَالَى- ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾، ٧/ ١٤٠ .

ط: الأولى ١٤٢٢هـ. ملحوظة: هذا الحديث ذكره الإمام البخاري في صحيحه معلقًا، مجزومًا به .

ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾.[1] ، وقوله-تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾.[2]

والأمر في قوله ﷺ: (كُلُوا، وَاشْرَبُوا، وَالْبَسُوا، وَتَصَدَّقُوا...) دالٌ على النصح والإرشاد لما يجب أن يكون عليه العبد، من الاعتدال والقصد في المأكل المشرب من خلال أمره ﷺ يريد بهذا أن يبني إنسانا قويا سليم البنيان، فإن في إسراف العبد على نفسه في مأكله ومشربه مضرة لجسده فكما قيل: "المعدة بيت الداء"[3]؛ حيث تكسب الجسد الأمراض بامتلائها من ملذات الطعام والشراب، فتودي به إلى التهلكة، وتصيب العبد التخمة فتجعله يتكاسل عن عبادة ربه، ولو فكر العبد مليًا لعلم أن في تلبيته لشهوات بطنه من مأكل ومشرب وغيره وإسرافه على نفسه وعدم اعتداله مضرة له وذم لها ، وهو ما نبه به حاتم الطائي وأشار إليه في قوله : [الطويل] .

وإنّكَ مَهْما تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤلَهُ *** وفَرْجَكَ ، نالا مُنتهَى الذّمّ أجمعَا .[4]

فما أجلها وأعظمها من نصيحة غالية من رسول الإنسانية محمد ﷺ لأمته ! فيها دعوة للوسطية والاعتدال في المأكل والمشرب .

ويتابع-صلوات ربي وتسليماته عليه-النصح والإرشاد لأمته في الاعتدال والاستواء في الملبس والصدقة-أيضا-فالعبد إذا ما أسرف على نفسه في ملبسه، جر ثوبه وراءه خيلاء وتعلقت به النجاسات والأقذار، فتفسد عليه العبادات والطاعات ، ويظهر بمظهر لا يليق به، وأين هو من

---

(١) سورة الأعراف آية رقم : ٣١.

(٢) سورة الفرقان آية رقم : ٦٧.

(٣) قال السخاوي : "حَدِيث: الْمِعِدَةُ بَيْتُ الدَّاءِ، وَالْحِمْيَةُ رَأْسُ الدَّوَاءِ، لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ، بل هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب أو غيره " المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تأليف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، تحقق: محمد عثمان الخشت ، ص :٦١١. ط: دار الكتاب العربي - بيروت ط: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

(٤) ديوان حاتم الطائي . ص : ٦٨. ط : صادر -بيروت ط: ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

قول ربه ﷻ : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴿٣١﴾﴾.(١)، ولو أسرف العبد على نفسه في ملبسه، تسرب إلي نفسه الغرور والخيلاء ، والخيلاء تضر بالنفس حيث تكسب المرء العجب بنفسه، والغرور والخيلاء والعجب بالنفس كلها صفات غير محمودة لها عواقبها الوخيمة في الدنيا؛ حيث تكسب العبد مقت الناس وسخطهم عليه؛ لما يترتب عليه من كسر لقلوب الآخرين ممن ضاقت بهم ذات اليد وعدم المراعاة لشعورهم، ثم تكسبه الإثم والشقاء والندم في الآخرة بسخط الله ﷻ عليه. (٢)

وكذا على العبد إلا يسرف حتى في صدقته؛ بل عليه أن يتبع منهج الاعتدال والقصد في صدقته، مصداقًا لقول الله ﷻ : ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾﴾.(٣)

وفي النصح والإرشاد منه–صلوات ربي وتسلياته عليه– في القصد في الصدقة لفت وانتباه للعبد، ألا يضيع ما يعول من الذرية من بعده ، وهو ما نوه إليه –صاحب مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح – :" ففي الخبر كفي بالمرء اثما أن يضيع من يقوت، وقد جاء رجل بمثل البيضة من ذهب فقال يا رسول الله خذها فهي للصدقة وما أملك غيرها، فاعرض عنه عليه الصلاة والسلام إلى أن أعاد عليه القول ثلاث مرات ثم أخذها ورماه بها رمية لو أصابته لأوجعته، ثم قال: يأتي أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة ثم يقعد يتكفف وجوه الناس، خير الصدقة ما كان عن ظهر غني".(٤)، فلأن يترك العبد ذريته أغنياء خير له من أن يتركهم عالة فقراء يتكففون الناس، وتلك هي سماحة

---

(١) سورة الأعراف آية رقم : ٣١.

(٢) ينظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير، ، ٥/ ٤٦.

(٣) سورة الفرقان آية رقم : ٦٧.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. تأليف :علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري .٤/ ١٣٢٠.ط: دار الفكر، بيروت – لبنان ط: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م

الإسلام في وسطيته وقصده واعتداله حتىٰ في الصدقة في سبيل الله ﷻ، مصداقًا لقوله ﷻ: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾.(١)

ثم لنتأمل بلاغة الرسول ﷺ في هذا الهدي النبوي الشريف ؛ حيث قدَّم حظ العبد من دنياه من المأكل والمشرب والملبس أولًا، ثم ثنىٰ بحظه من الأخرة حيث الصدقة في سبيل اللهﷻ ، في حدود القصد والاعتدال، كما قال اللهﷻ : ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ .....﴿٧٧﴾ ﴾ الآية.(٢)

وكان للقيد في قوله ﷺ :(فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ) ،(وَلَا مَخِيلَةٍ) دلالته الواضحة في الهداية إلىٰ الوسطية والاعتدال، وذلك لأن الإسراف في المأكل والمشرب يضر بالجسد والمعيشة، والخيلاء تضر بالنفس حيث تكسب المرء العجب بنفسه، وتكسبه مقت الناس به وسخطهم عليه، ثم تكسبه الإثم والشقاء والندم في الآخرة .(٣)

وعلل ابن حجر العسقلاني هذا القيد بقوله :" ووجه الحصر في الإسراف والمخيلة، أن الممنوع من تناوله أكلا ولبسا وغيرهما، إما لمعنىٰ فيه، وهو مجاوزة الحد وهو الإسراف، وإما للتعبد كالحرير إن لم تثبت علة النهي عنه وهو الراجح، ومجاوزة الحد تتناول مخالفة ما ورد به الشرع، فيدخل الحرام، وقد يستلزم الإسراف الكبر وهو المخيلة ".(٤)

وإن كان –صاحب مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح–قد جعل القيد خاصًا (بالملبس) بقرينة نفي المخيلة، ثم تراجع عن رأيه وذهب بأن القيد يمكن أن يتعلق بالأوامر كلها(من المأكل

---

(١) سورة الإسراء آية رقم : ٢٦.

(٢) سورة القصص آية رقم : ٧٧.

(٣) ينظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/ ٤٦.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي وآخرون ،١٠/ ٢٥٣.ط دار المعرفة– بيروت ، ١٣٧٩ه.

والمشرب والصدقة والملبس) مع تكلف في قوله : " وهو قيد للأخير بقرينة نفي المخيلة، ويمكن أن يتعلق به الأوامر كلها مع تكلف، -والله أعلم-" .[1]

وإن كنت أجد : أنه لا بأس أن يكون القيد شاملا للأوامر كلها من(المأكل والمشرب والملبس والصدقة)، فهو أدعى إلى الاعتدال والوسطية في الأمور كلها، مصداقًا لقوله ﷻ:﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾.[2] ، وقوله-تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾.[3] ؛ ولأن المخيلة ناشئة عن الإسراف ومجاوزة الحد في الملبس، فهي من باب ذكر عطف العام على الخاص، وتلك هي وسطية الإسلام السمحة التي تحضنا على الاعتدال في كل شيء من أمور حياتنا، من مأكل ومشرب وملبس وصدقة وغيرها، كما بنتها السنة النبوية المطهرة.

وقد يسأل سائل: لِمَ كان الأمر بالاعتدال من الرسول ﷺ متعلقا بهذه الأمور(من المأكل والمشرب والملبس والصدقة؟

والجواب: وذلك لكثرة تكرار هذه الأمور في حياة الإنسان، فهي منهج حياة، وهو ﷺ يريد أن يكون هذا المنهج في حياة الإنسان قائمًا على الوسطية والاعتدال، فلا إسراف ولا تبذير، ولا إفراط ولا تفريط، وإنما هو قصد واستواء واعتدال في كل أمور حياتنا.-والله أعلم-، يقول ابن حجر العسقلاني: "قال الموفق عبد اللطيف البغدادي: هذا الحديث جامع لفضائل تدبير الإنسان نفسه، وفيه تدبير مصالح النفس والجسد في الدنيا والآخرة، فإن السرف في كل شيء يضر بالجسد، ويضر

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح.٧/ ٢٧٩٥

(٢) سورة الأعراف آية رقم : ٣١.

(٣) سورة الفرقان آية رقم : ٦٧.

بالمعيشة، فيؤدي إلى الاتلاف، ويضر بالنفس إذ كانت تابعة للجسد في أكثر الأحوال، والمخيلة تضر بالنفس؛ حيث تكسبها العجب، وتضر بالآخرة؛ حيث تكسب الإثم وبالدنيا حيث تكسب المقت من الناس".[1]

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٠/ ٢٥٣.

الحـــديـث الثـاني

روى الإمام البخاري، عن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:" من جرّ ثوبه مخيلة لم ينظر الله إليه يوم القيامة ".(١)

أحلَّ الله ﷻ لنا الطيبات من مأكل ومشرب وملبس وغيرها، في حدود المباح من غير إسراف ولا تقتير، وأرشدنا إلى القصد والاعتدال في الملبس، كما أرشدنا إليه في المأكل والمشرب، محذرًا كل مسرف على نفسه في ملبسه يجرها وراءه خيلاء، أن الله ﷻ لا ينظر إليه نظرة رحمة وشفقة يوم القيامة .

والمتأمل الهدى النبوي في قوله ﷺ (من جرّ ثوبه مخيلة...) يلحظ من خلال البدء بالشرط (من جرَّ ثوبه...)،على طريق العموم، ليتناول كل مستكبر مسرف على نفسه في ملبسه، ولتنبيه المخاطب من خلال البدء بالشرط أن ثمة شيء خطير، وذنب عظيم يلحق به إن ارتكب هذا الجُرم، وأن هـذا الفعل –من الإسراف في الملبس– شيء لا يرضي الله ﷻ ورسوله؛ بل ويعود عليه بالخسران في الدنيا والآخرة؛ لما أن في جرِّ الثوب من الخيلاء(٢) التي تكسب المرء الغرور والكبر والإعجاب بالنفس، مما تكسبه سخط الناس عليه في الدنيا؛ لما فيه من كسر لقلوب الآخرين الذين ضاقت بهم ذات اليد، كما تكسبه المقت من الله ﷻ في الآخرة بحبوط عمله .

وفي التركيب: (من جرّ ثوبه مخيلة...) كناية عن إسراف العبد في ملبسه وعدم قصـده واسـتوائه واعتداله فيه، كما أن فيه وعيدًا شديدًا لمن تسول له نفسه فعل هذا الصنيع .(٣)

كما نلحظ أنَّ في تقيد جر الثوب بـ(مخيلة) دلالة على أن دل أن النهي والوعيد إنما تعلق لمن جـره لهذه العلة، فأما لغيرها فلا، من استعجال الرجل لحاجته وجر ثوبه خلفه، أو من قلة ثياب ردائه على كتفيه فلا حرج؛ مصدقًا لما قاله أبو بكر الصديق ﷺ:" يا رسول الله إن إزاري يسقط أحد شـقيه

---

(١) حديث رقم (٥٧٩١) صحيح البخاري، كتاب اللباس ، باب قَوْلِ اللَّهِ –تَعَالَى– :﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾،٧/ ١٤٢ .

(٢) "الْخُيَلَاءُ والخِيَلَاءُ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ– الكِبْرُ والعُجْبُ". النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٩٣.

(٣) ينظر : فيض القدير،٦/ ١٤٥.

يعني يسترخي ويشبه جره، فقال: إنك لست منهم أي: من الذين يجرون ثيابهم خيلاء، وفي الرواية المتقدمة في أول كتاب اللباس إنك لست ممن يصنعه خيلاء..." .[1]

وقوله:(لم ينظر الله إليه..) النظر –هنا– في حقه–تعالى– مجاز عن الرحمة والرأفة والشفقة ،أى: لا يرحمه الله يوم القيامة، قال الحافظ في الفتح: " أي لا يرحمه فالنظر إذا أضيف إلى الله كان مجازا، وإذا أضيف إلى المخلوق كان كناية، ويحتمل أن يكون المراد لا ينظر الله إليه نظر رحمة ".[2]

وكان للتعبير عن عدم الرحمة –في حقه –تعالى–بالنظر دلالته:" لأن من نظر إلى متواضع رحمه، ومن نظر إلى متكبر متجبر مقته، فالنظر إليه في تلك الحالة اقتضى الرحمة أو المقت ".[3]

وقولهﷺ :(لم ينظر الله إليه يوم القيامة) ؛ كناية عن عدم الرحمة والإكرام والإحسان له يوم القيامة؛ لأن من نظر إلى إنسان أقبل على الإحسان إليه وإكرامه، فكني بالنظر يوم القيامة عن عدم الإحسان والإكرام له.[4]

كما أن في التعبير بالفعل المضارع (لم ينظر..) دلالته في استحضار لما سيؤول إليه حال المسرف على نفسه في ملبسه وما يلحقه من العقاب اللهﷻ يوم القيامة .

ولعل السبب في تخصيص يوم القيامة بالذكر؛ ذلك :" لأنه محل الرحمة المستمرة بخلاف رحمة الدنيا، فإنها قد تنقطع بما يتجدد من الحوادث، أو لأنه يوم الجزاء، وإلا ففاعل ذلك لا يرضى الله

---

(١) ينظر: شَرْحُ صَحِيح مُسْلِم لِلقَاضِى عِيَاض الْمُسَمَّى إِكْمَالُ الْمُعْلِم بفَوَائِدِ مُسْلِم، تأليف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل ، تحقيق: الدكتور يحيى إِسْمَاعِيل،٦/ ٥٩٨، ط: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م، عمدة القاري شرح صحيح البخاري تأليف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، ٢٢/ ١٣٤، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري،١٠/ ٢٥٩.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٢١/ ٢٩٥.

(٤) ينظر: التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ،١٠/ ١٩٠.

بفعله دنيا وأخرىٰ ولا ينظر الله إليه لذلك أصلًا " .[1]

ثم يأتي جواب الشرط "(لم ينظر الله إليه يوم القيامة) بيانًا وتقريرًا وتأكيدًا لمضون الكلام السابق في صدر الكلام، وهو خبر مستعمل في الوعيد لكل مستكبر جر ثيابه وراءه مخيلة، واتبع نفسه هواها ، فضلَّ وأعرض عن دعوة الحق، كما أن فيه نصحًا وتحذيرًا لمن ضل عن جادة الصواب وطريق الرشاد، وأسرف علىٰ نفسه ولم يقتصد ويعتدل في ملبسه.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري،١٠/ ٢٥٩، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين،٥/ ٢٦٩.

خـــاتمة البحث

وبعد هذه الرحلة الممتعة التي طوَّفت من خلالها في رحاب أحاديث رسول ﷺ التي يحضنا ويحثنا فيها على الوسطية والاعتدال في المأكل والمشرب والملبس، خَلُصَ البحث إلى أهم النتائج الآتية :

١- أن الوسطية والاعتدال في الدلالة اللغوية لهما وجهان لعملة واحدة ، فهما مترادفتان من حيث المعنى اللغوي، إذ إنهما بمعنى : الاستقامة، والقصد، والاستواء، والحسن، والتوسط بين شيئين، والحكم بين الناس بالحق وعدم الجور، والأفضل والأجود . وكلها أمور مرادة في معنى الوسطية والاعتدال.

٢- تنوعت بلاغة النبي ﷺ في الحديث عن الوسطية والاعتدال في المأكل والمشرب والملبس، ما بين الترغيب من خلال الأمر الدال على النصح والإرشاد الداعي إلى الاعتدال والقصد والاستواء، والترهيب من خلال التحذير والتنفير والوعيد من مغبة الوقوع في الاسراف والإفراط والتبذير.

٣- كما حفلت دعوة النبي ﷺ بالبلاغة العالية المنبثقة من أخلاقه ﷺ في حديثه عن الوسطية والاعتدال في المأكل والمشرب والملبس، من خلال تقديمه النصح والإرشاد للمخاطب عن طريق العموم، وطريق الالتفات من الخطاب إلى الغيبة؛ لما فيهما من غاية اللطف وحسن الخلق في عدم مواجهة المخاطب بما يسوؤه.

٤- كان لأسلوب الشرط بـ(مَنْ) دلالته البلاغية في تحذيره وتنفيره ﷺ من الإسراف في الملبس؛ لما فيه الخيلاء التي تضر بالنفس؛ حيث تكسب المرء العجب بنفسه، وتكسبه مقت الناس به وسخطهم عليه في الدنيا، ثم تكسبه الإثم والشقاء والندم في الآخرة .

(والحمد لله في الأولى والآخرة)

أولًا: ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تأليف الخطيب القزويني، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط. دار الكتب العلمية بيروت-لبنان . ط. الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

٢. البيان والتبيين، تأليف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، ط: دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط: ١٤٢٣ هـ.

٣. بلاغة النفي في البيان النبوي، د/ لطفي خالد محمود الجوهري-رسالة دكتوراه- ط:١٤٣٠ه/ ٢٠٠٩م .

٤. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، تأليف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

٥. التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان. تأليف د: محمد محمد أبو موسى، ط. مكتبة وهبة ط. الرابعة . ط. ١٤١٨هـ/ ٢٠٠٤م

٦. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تأليف : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق : مصطفي بن أحمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري، ط : مؤسسة القرطبه.

٧. التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ، تأليف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير، تحقيق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، ط: مكتبة دار السلام، الرياض، ط: الأولى، ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١١ م .

٨. تهذيب اللغة . تأليف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور ،تحقيق: محمد عوض مرعب، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠١م

٩. التوقيف على مهمات التعاريف، تأليف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المنوي القاهري، ، ط: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق

ثروت-القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م

١٠. الجامع الصحيح سنن الترمذي، تأليف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١١. الجنى الداني في حروف المعاني، تأليف: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي تحقيق: د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، ط: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط: الأولى، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م

١٢. حاشية الشيخ محمد الإنبابي على رسالة الشيخ محمد الصبان في علم البيان، ط. المطبعة الأميرية ببولاق، ط: الأولى، ط: ١٣١٥هـ.

١٣. دلائل الإعجاز، تأليف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط. مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٤. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، تأليف: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، ط: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت / لبنان ط: الرابعة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

١٥. ديوان أبي فراس الحمداني. شرح الدكتور / خليل الدويهي، ط: دار الكتاب العربي. ط: الثانية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

١٦. ديوان حاتم الطائي . ط : صادر –بيروت ط: ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٧. ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق : حمدو طمّاس، ط : دار المعرفة بيروت-لبنان . ط : الثانية ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م

١٨. السلسلة الصحيحة، تأليف : محمد ناصر الدين الألباني، ط : مكتبة المعارف – الرياض.

١٩. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، ط: مكتبة نزار مصطفي الباز (مكة المكرمة - الرياض) ط: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٢٠. شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِي عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، تأليف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل ، تحقيق: الدكتور يحيى إِسْمَاعِيل، ط: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م

٢١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تأليف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط: دار العلم للملايين - بيروت ط: الرابعة ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م .

٢٢. صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول اللهﷺ وسننه وأيامه، تأليف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، ط : دار طوق النجاة.

٢٣. صحيح مسلم " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول اللهﷺ تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تأليف: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٤. طبقات الحفاظ، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت ط: الأولى، ١٤٠٣ه.

٢٥. طرائق التشبيه الضمني في الشعر العربي "دراسة فنية"، تأليف د/ لطفي خالد محمود الجوهري. ط: مكتبة الآداب . ط: الأولى، ط :١٤٣٩ه/ ٢٠١٨م.

٢٦. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي بدر الدين العينى، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون ،ط: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ

٢٨. فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله، تأليف: عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر .ط: دار ابن القيم، الدمام المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

٢٩. فيض القدير شرح الجامع الصغير، تأليف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ط: المكتبة التجارية الكبرىٰ – ط: الأولىٰ، ١٣٥٦ه.

٣٠. كتاب العين كتاب العين، تأليف : أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي تحقيق : د.مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، ط: دار ومكتبة الهلال.

٣١. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تأليف: علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي، تحقيق: بكري حياني – صفوة السقا، ط: مؤسسة الرسالة ط: الطبعة الخامسة، ط: ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م

٣٢. لسان العرب. تأليف : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري. دار صادر – بيروت . ط : الأولىٰ.

٣٣. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. تأليف :علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري .ط: دار الفكر، بيروت – لبنان ط: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٣٤. معجم مقاييس اللغة، تأليف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر، ط: ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٣٥. المفردات في غريب القرآن، تأليف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط: دار القلم، الدار الشامية / دمشق بيروت، ط: الأولىٰ ١٤١٢هـ.

٣٦. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة علىٰ الألسنة، تأليف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، تحقق: محمد عثمان الخشت ، ط: دار الكتاب العربي – بيروت ط: الأولىٰ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.

٣٧. مواهب الفتاح لشرح تلخيص المفتاح. لابن يعقوب المغربي(ضمن شروح التلخيص). ط. دار الكتب العلمية بيروت –لبنان.

٣٨. النحو الوافي، تأليف: عباس حسن، ط: دار المعارف، ط: الطبعة الخامسة عشرة.

٣٩. النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي ، ط: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.